

المكان الأليف والمكان المعادي في المجموعة القصصية (جنون وما أشبه) لنجمان ياسين

شهد حميد مرعي الصوفي
أ. د. عشتار داؤد محمد
جامعة الموصل / كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية

(قدم للنشر في ٢٠٢٠/١١/٧ ، قبل للنشر في ٢٠٢٠/١٢/٢٠)

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين:
يمتلك المكان أهمية كبيرة في السرد الروائي، فهو احد أهم العناصر الروائية التي يعتمد عليها الكاتب في قصصه، ويعطيها بعداً خاصاً، لذا اعتنى كثير من الكتاب بهذا العنصر وأولوه أهمية كبيرة، ويبدو في كثير من الحالات جزءاً أساسياً من أجزاء السرد، فهو عنصر فاعل فيه، إذ يؤثر في الشخصيات والأحداث، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بعناصر القصة، وقد اهتم القاص والأديب الدكتور (نجمان ياسين) بالمكان وتجلياته في مجموعته القصصية (جنون وما أشبه) من خلال هذا الفضاء الساحر، الذي تنوعت وتعددت أنواعه بين المكان الأليف والمعادي.

ولكل نوع معناه ومغزاه في هذه القصص وقد ساق للمكان دلالات مختلفة متأثراً بالبيئة التي عاش فيها. بني البحث على مدخل ومبنيين جاء المدخل لتحديد مفهوم المكان وانطباعاته في النص القصصي، واختص المبحث الأول بدراسة المكان الأليف، ويشمل (الدكان، والمقهى، والغرفة)، في حين اختص المبحث الثاني بدراسة المكان المعادي وقد اشتمل على (القبر، والسجن، وحوش المنزل)، وقد استند هذا البحث على مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع من أهمها:

١-جماليات المكان، غاستون باشلار.

٢-الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، للدكتور إبراهيم جنداري.

واعتمد هذا البحث الدراسة التحليلية للمكان في النصوص القصصية للكشف عن قيمة المكان الفنية والجمالية على وفق

التناييات المتضادة.



**The Peaceful and the Hostile Place in the Story Collection (Madness and the like)
by Najman Yassin**

Shahad Hamid M. Al- Sofi Prof. Ph.D. Ashtar Dawood Mohammad
University of Mosul / College of Education for girls/ Dept. of Arabic Language

Abstract:

The place has a big importance in the fictionist reciting, and this is one of important elements which depend on by the writer in his stories, and gives it a special dimension. So, many writers tend with this subject and give it a big importance. It seems in many cases as a basic part in the reciting, it is an acting element, effect on the characters and events, and related firmly with elements of story. The writer (Najman Yassen) care with place and its manifests in his story set (Junoon wama Ashbah) throughout this fascinating space, which varying between tame and adversarial place.

Each kind has meaning and sense in these stories, he give to the place many different senses influenced by the environment which he lived in.

The research divided into introduction and two themes, the introduction specified the place concept and its impressions in the narrative text, the first theme specified for the study of s the tame place, including (shop, café and room), where as the second theme specified for study the adversarial place, including (grave, prison and home courtyard). The research depended on a big group of resources and references.

المكان الأليف:

إنَّ المكان عنصر محايد دوماً، فهو يتحول بفعل الإسقاط النفسي للشخصيات إلى مكان يملك طاقة ايجابية، تعبر عن ألفة المكان أو شعور سلبي بأنه مكان معادٍ للشخصية^(١).
فالمكان الأليف هو المكان المسكون الذي يحمل في طياته وسائل الراحة والأمان كلها والانسجام معه^(٢).
ويعد المكان الأول الذي يجد فيه الإنسان نفسه المحتوية على الوعي واللاوعي^(٣). فهو نوع من الجنة الأرضية. وهو مكان للعيش المملوء بالدفء والراحة والتآلف والتأزر والحب والعطف^(٤).
لا تتولد عملية التعرف على المكان الأليف والانسجام معه وبناء العلاقة الحميمة التي تحتوي المكان، دفعة واحدة، إذ لا بد لها من التكون والسيرورة عبر مرحلة مخاض، تكون نتيجتها ارتباطات قائمة على الفهم، وتمثل الواقع المكاني. ومما يتبين في خلال تأثيره، وتأثير محتوياته بالشخصية، التي تبدأ بالتعرف على المكان وترسخ موقفاً منه لا يمكن اعتباره ردة فعل يحدثها الانطباع الأول، الذي يتحول نتيجة الإحساس بالمكان موقفاً ثابتاً لتكوين الألفة^(٥).
"فهو المكان الذي تنسجم معه الشخصية، وتحبه وتشعر بالأمان نحوه"^(٦)، فالمكان الأليف بحسب فكرة باشلار: هو المكان المقترن بالدفء والشعور بالاطمئنان. ومن أكثر الأمكنة ألفة هو البيت الذي ولدنا فيه، إذ يقول:

(١) ينظر: حميمية المكان وجدلية الليل والنهار في ديوان مساء في يدي، أ. عمر العسري، مجلة البحرية الثقافية،

المجلد (١٣)، العدد (٤٣) لسنة ٢٠٠٦: ٦٥.

(٢) ينظر: جماليات المكان، باشلار: ٤٣.

(٣) ينظر: م. ن: ٤٥.

(٤) ينظر: الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، د. إبراهيم جنداري: ٢٣٧.

(٥) ينظر: احتياط الوعي ودور المكان في تكوينها- دراسة في العام الخامسة، محمد عبد الحسين الهودي، مجلة

القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة المتنى، مجلة التربية، المجلد (٦)، ٢٠٠٧: ١٦٠.

(٦) ينظر: الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: ٢٣٧.

"البيت الذي ولدنا فيه محصور بشكل اعتيادي وفي داخلنا انه ليصبح من العادات العفوية"^(٧). فالمكان هو الصورة الفنية التي تذكرنا وتبعث فينا ذكريات بيت الطفولة^(٨).

ويعد غاستون باشلار من أكثر الكتّاب الذين تناولوا مفهوم المكان بشكل عام، والمكان الأليف بشكل خاص، فيرى أنّ: المكان الأليف هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة، انه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة وتشكل فيه خيالنا^(٩)، فهو ذلك المكان الذي يتألف معه الإنسان ويترك في نفسه تأثيراً لا يُمحى، فهو مكان الطفولة الأولى، ومكان الصبا والشباب، إذ يثير هذا المكان الإحساس بالطمأنينة والأمان والذكرى^(١٠).

ويجد يوري لوتمان: أنّ المكان الأليف لا يعني البيت والغرفة الذي ولدنا فيه وعشنا فحسب، بل أي مكان نحس بألفة إزاءه سواء أكان عاماً أم خاصاً، ضيقاً أم متسعاً، جديداً أم قديماً، مدينة أم حارة أم شارعاً أم مقهى^(١١). وأطلق كريمة على هذا المكان مصطلح (مكان الأناج)، فهو مكان تتمثل وظيفته في خلق ذكرى ميراث الأسفار والأفعال^(١٢). فهو المكان الذي هيأ للشخصية حيزاً منسجماً مع طبائعها، والذي انطبعت أجزاءه بتجاربها، ويمكن أن يترك مجالاً للفسحة والحلم والتذكر^(١٣).

(٧) جماليات المكان، باشلار: ٤٥.

(٨) ينظر: م. ن: ٦.

(٩) م. ن: ٦.

(١٠) ينظر: المصطلح السردي في النقد العربي الحديث، أحمد رحيم كريم الخفاجي: ٤٧.

(١١) ينظر: مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان، ترجمة: سيزا قاسم، مجلة ألف باء، البلاغة المقارنة، الجامعة الأمريكية، القاهرة، العدد (٩) لسنة ١٩٨٩: ٨٣.

(١٢) ينظر: مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، سمير المرزوقي وجميل شاكر: ٥٨.

(١٣) ينظر: الرواية العربية، محمد برادة: ٢١.

ننتقل من العام إلى الخاص. بعد أن مهدنا الطريق بإيجاز للدخول إلى موضوعنا الرئيس في محاولة للتعرف على الكيفية التي يتعامل بها القاص، إذ يصف المكان الأليف في مجموعته القصصية (جنون وما أشبه) وهو يتكلم عن الراحة والاطمئنان والشعور بالألفة، فقد ورد المكان الأليف في قصة (طيور بيتيمة) في النحو الآتي: "ذلك الدكان الذي يوفر الفيء والهواء المنعش لنا، ويجعلنا مبهورين بالطيور التي تتهادى برشاقة وتتغنى بأصواتٍ تطربنا، وتجعلنا ننسى أنفسنا وعذاب العصا التي سنتهش أجسادنا عندما يعرف آباؤنا أننا قد هربنا من كُتّاب -الملا كسو- وقصدنا دكان حلقة (غريب النسلي)"^(١٤).

يشكل (الدكان) المكان الأليف الذي يلجأ إليه الأطفال للتنفس عن مكبوتهم ولاسيما في أثناء التعلم عن الكتاتيب ولفترات طويلة تحبس أنفاسهم، وتثقل حركتهم السريعة، فالداكان يبعث في النفس الراحة النفسية والأمان والاطمئنان، إذ يوجد بالقرب من (الدكان) أشجار لوقوعه في الظل وهو مسكن للطيور المغردة، فعند سماعها تكون ملاذاً لهم من ضربات الملا كسو فهم بهذه الأصوات ينسون خوف آبائهم عندما يهربون ويلجؤون إلى هذه الدكان التي تشعرهم بالراحة والأمان التي يفقدونها عند آبائهم وعند معلمهم.

وقد ورد المكان الأليف في القصة ذاتها "يداعبنا الهواء المنعش بليونته وبرودته فنشعر كأننا في جنة ونصغي إلى دقات قلوبنا تنبض بالسرور ونراقب النسلي وطيوره، ريشها يلعب تحت نور الشمس النازل من أعلى الغرفة"^(١٥).
إذ وصف المكان هنا بنسيم الهواء البارد الذي يبعث الراحة، وبدقات القلب وهي تنبض مستشعرة ومطمئنة بهذا المكان، وجاء بكلمة (السرور) وهي دلالة على الفرح والاطمئنان وتصوراتهم البريئة، وتشبيهم بالجنة من خلال أشياء بسيطة (هواء، أشجار)، مما يدل على وجود عفوية عند هؤلاء الصغار، فقلوبهم تنتعش بالفرح عند رؤية هذا المكان الذي يجلب الراحة والسعادة للنفوس.

(١٤) جنون وما أشبه: ٦١.

(١٥) م. ن: ٦٩.

يشكل المكان الأليف عند هؤلاء الأطفال الحنين إلى الطبيعة، فهذا المكان الأليف المفتوح المزخرف بجمال الطبيعة الخلابة، يحمل في طياته الألفة والحب والدفء هروباً من الواقع المعيش، فقد جاء بمفردة الجنة التي تمثل الملاذ بعد العذاب، فهم يهربون من هذا المكان كَتَبَ (الملا كسو) ويلجؤون إلى دكان غريب النسلي فهم يعتبرونه كالجنة في تصورهم البسيط الطفولي.

يصف القاص المكان الأليف بالسعادة، وليس كذلك فحسب، وإنما بلذة السعادة وهو يحس بها ويتلذذ كأنها شيء ملموس من خلال ما ذكره في قصة (طيور يتيمة) في النص الآتي: "تنقر الطيور الحبات وتلتقطها وتبعث بنثار القش المجوف وتندفع صوب الدائرة التي كوَّنها نور الشمس فتتنفس ريشها وتتنفس وتروح تغرد بأصوات أسرة تجعل الدنيا ترقص بجور وتجعل أرواحنا تخفق بسعادة لذينة"^(١٦).

ورد المكان الأليف في وصفه للحدث داخل القصة والحركة السردية، إذ إنه يراقب هذا المكان وصورة الطيور وهي تلتقط الحنطة في مشهد يبعث في نفسه الإحساس باللذة، وهي تقوم بنفث ريشها وتتصرف بتصرفات طبيعية على سجيبتها.

وهي تبعث الفرحة والسرور في قلوب الأطفال عند مراقبتها مدى سعادة الأطفال لرؤية الطيور، حيث جعل الدنيا ترقص ببهجة وفرح، وهذه الطيور المغردة الصغيرة مصدر سعادة للأطفال من خلال (الهواء، النقي، والطيور، وقليل من الشجيرات).

فقد ورد المكان الأليف في القصة ذاتها، إذ يقول: "الدهشة سماء تهبط علينا، ونحن نرقب ونسمع ونرتجف فرحاً، فكأنَّ الطيور قد أدركت أنَّ النسلي يستحُّها على الغناء، فبدأت تشدو بأصوات شجية، تتوقف فجأة عن الغناء وكأنها قد أفرطت وجاوزت حدها وسرعان ما تفيض بالغناء، وعينا النسلي فيها ابتهاج وضراعة ولهفة حتى ليبدو مثل غريق في نهر الغناء الصافي، وتردد النغمات والألحان في مهرجان الطيور"^(١٧).

(١٦) جنون وما أشبه: ٧١.

(١٧) م. ن: ٧٠-٧١.

وقد يسهم المكان الأليف في دفع عجلة الحدث الدرامي بأسلوب يتخذ شكل الرمز عبر تلاحم الحواس وتراسلها مع معطيات المكان، فضلاً عن أنسنة المكان بالألوان والأزهار والأطيوار والأصوات الشجية الصافية، عذبة وسعادة الأطفال بهذه المواقف البسيطة جداً، وهم مندهشين برؤية (النسلي) وهو يقوم بالغناء مع طيوره، مستغلين وقتهم برؤية هذا الشخص البسيط مع طيوره.

وقد تحققت السعادة هنا مع الشعور بالراحة لدى الأطفال وكأنهم في مهرجان الطيور، وصف رائع من خلال (نهر الغناء الصافي) ووجود (النهر والمرجان) ومدى تأثير الغناء في نفس هؤلاء الأطفال وهو تأثير يشابه تأثير غناء الأم لطفلها حتى ينام، فغناء النسلي مع طيوره كأنها أوبرا متكاملة تشدو بأعذب الألحان والكلمات.

إذ ورد المكان الأليف في قصة (جواسيس) في النص الآتي: "آثرنا الصمت وكنا نشم رائحة العشب تختلط برائحة الخيول التي شرع بعضها في الصهيل بينما تسربت إلينا رائحة خشب جديد، وكانت الرائحة حادة ولذيذة وبدا كما لو أنّ السماء تحتفي بشمس هادئة عذبة تغمر أجسادنا بالضوء والدفء تجعل خضرة الحقول أكثر لمعاناً وسطوعاً وبدا كما لو أنّ الدنيا جميلة ورخية وقد خلت من كل ما هو كريه وقبيح"^(١٨).

يمثل الحقل المكان الأليف الذي يتميز بنبض الحياة والديمومة في تجدد المكان بالحركة والنشاط والفعالية التي تنعكس آثارها في نفسية الشخصية.

فيما نجد ما ذكره القاص وصف رائحة العشب ممزوجة مع رائحة الخيول اللامعة، وهو يصف ويحس بإحساس مرهف وجميل نابع من الطبيعة الخالية من الحقد والكراهة، وهو يفضل الصمت على الكلام، والتأثر بالدهشة والذهول لهذا المنظر الجميل جداً، ويمثل الحقل المكان الذي يتميز بنبض الحياة والديمومة بتجدد المكان بالحركة والنشاط والفعالية التي تنعكس آثارها في نفسية الشخصية، أذهل عقولهم بهذا المنظر التي تفوح منها رائحة طيبة وزكية فعند غياب الشمس في وقت الغروب مشاعر الدهشة والتأمل بالطبيعة تختلف عند هؤلاء الناس، وهذه المناظر

(١٨) جنون وما أشبه: ١٦٩.

تأسر العيون من جمال الطبيعة وتختلط مع تأثير رائحة العطر، وحاسة النظر واللمس وحاسة الشم (العشب الندي)، فالدهشة قليلة هنا لامتلاك هذه المناظر، فلا تجد النفس أي شيء يكدرها.

للمكان الأليف عند القاص أهمية كبيرة فهو في انسجام معه دائم، أحبه وعاشه بكل شفافية وصدق وكأنه مصدر لفرحه وسعادته وإحساسه بالدفء والأمان.

فقد ورد كذلك في قصة ((طيور يتيمة)) إذ يقول: "رقص قلبي في صدري، حين أعلمتني جدتي، بأننا سنذهب لزيارة ملاية "عزيزة" في منزلها الذي يجاور مرقد نبي الله جرجيس، سرت وراء جدتي والأرض لا تسعني، أسير وكلي لهفة للوصول إلى المنزل، أسير وأكاد أطيّر"^(١٩).

ويوحى كلام القاص هنا في هذا النص بحميمية العلاقة بينه وبين المنزل، وهي علاقة ود من خلال (قلبي يريد أن يسبقني، وأسير وأكاد أطيّر) تحققت علاقة الحب في هذا المقطع، فالسير هنا مصحوب باللهفة والاشتياق مما يدل على انسجام الشخصية بالمكان، وقد شبه نفسه بالطير لخفته لزيارة هذا المكان، ورائحة هذا المكان نابعة من الحب والحنان.

إذ يمثل (المقهى) الذي التجأ إليه القاص الملاذ الآمن، الذي يمنحه الشعور بالارتياح، إذ ورد هنا المكان الأليف في قصة ((خطيئة سعيد أفندي)) في النص الآتي، إذ يقول: "فوقنا السماء صافية، ترشنا نجومها بأضواء فضة متناثرة، أكاد أسمع صهيل أكثر من حصان. ماكنة الطحين، كانت هامدة وشجيرات المقهى تتنفس فتضوع رائحتها الطيبة وتتسرب إلى صدورنا فتمتلئ بالراحة"^(٢٠).

يتمثل المكان في هذا النص بالرائحة الطيبة التي تسربت في نفسه وفي صدره فأشعرته بالراحة والأمان التي يستنشقه من (شجيرات المقهى) فقد مثل المقهى مكاناً أليفاً يجد فيه الكاتب وصديقه عالمهما الشخصي، إذ يعبران فيه عن خبايا مواضعهم تجاه قضية الفكر والأدب، في ساعات النقاش والتحاور، إذ يعمل على تجديد الرؤى الفكرية

(١٩) م. ن: ٤٩.

(٢٠) جنون وما أشبهه: ١٤٨.

والأدبية وتوسيعها لتتوير الذهن وتغذية العقل والثقافة والمعرفة^(٢١). وجود (الطاحونة) هنا يكون السبب للإزعاج، لكنها هامة.

سهيل الحصان أيضاً من الأصوات المحببة له، فيصف ما يسمعه، وعند رؤيته (ضوء النجوم) مما يبعث على الراحة والطمأنينة والسلام للنفس.

نستخلص من ذلك كله أنّ (المكان الأليف) عند القاص (نجمان ياسين) يحظى بأهمية بالغة وبإحساس عميق من خلال الانتماء إلى المكان؛ لأنه يمثل مرحلة الطفولة وبيت أحلامه، وملعب صباه وفضاء ذكرياته الأولى، فهو المكان الصغير الذي يعيش فيه مع أولاد الحي ليس ذلك فقط، وهو يصف هذه الأمكنة (المنزل، الغرفة، المقهى) وشعر بوجودها فهي اقرب إلى نفسه من أي مكان آخر.

المكان المعادي:

هو المكان الذي تشعر الشخصيات فيه بالكراهية والعداء والضعف وعدم الأمان^(٢٢)، فهو المكان الخانق الذي يغير في الذات الإنسانية في (الخوف والقلق) لدرجة الاختناق، وتكون العلاقة بينه وبين الشخص علاقة عدائية سلبية، إذ تتخذ فعاليات هذه الأمكنة طابعاً عدائياً ليصعد عند الإنسان فاعلية الإحساس بالخوف من المجهول^(٢٣).

(٢١) ينظر: المكان في قصص محمد حكمت صالح، د. نبهان حسون السعدون، دراسات موصلية، العدد (٤٣)، دراسات موصلية، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، ٢٠١٤: ٧٠.

(٢٢) ينظر: جماليات المكان: ١٦.

(٢٣) المكان في قصص الفهادي، د. نبهان حسون السعدون، دراسات موصلية، العدد (٤٣)، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، ٢٠١٤: ١٢.

ويتميز هذا النوع من المكان بعدم رغبة الشخص به وعدم محبته له والنفور منه لأسباب قد تكون طبيعية أو اقتصادية^(٢٤).

ويوحى المكان المعادي بالفقر والألم الموجه، ويشعر المرء فيه بالاعتراب والعزلة عن الناس لكونه مكاناً يكون فيه الإنسان مرغماً كالسجون، والمعتقلات، والمنافي، أو أنّ خطر الموت يكمن فيه^(٢٥)، وهو المكان الذي يتخذ من تجسيد السجن للطبيعة الخالية من البشر ومكان الغربة وهو القادر على إثارة ذكرى المكان عند القارئ^(٢٦)، مما يشكل خطراً على حياة الإنسان كساحات القتال، بل يشعر نحوه بالعداء والكراهية^(٢٧)، فهو الذي يولد علاقة غير حميمة بمعنى آخر سلبية^(٢٨).

والعلاقة بين الإنسان والمكان علاقة جدلية، فالمكان حقيقة معينة، تحمل في طياتها دلالات خاصة، فعندما يكون المكان آمناً وحميماً يشعر الإنسان نحوه بالألفة، وعندما يكون المكان خلاف ذلك لا يشعر الإنسان نحوه بالألفة، إذ يحول شعوره إلى الخوف لاحتوائه على العدائية والكراهية، وهذه الأماكن إما أن يكون الإنسان مرغماً عليها كالسجون والمعتقلات والمنافي، وأما خطر الخوف فيكمن فيها لسبب أو لآخر كالصحراء والأماكن التي توحى بأنها مكان للموت والطبيعة الخالية من البشر وأمكنة الغربة^(٢٩).

(٢٤) ينظر: المكان في الرواية العربية، عبد القادر حوسو: ٢١.

(٢٥) ينظر: الزمان والمكان في القصة القصيرة في أدب نجدي الراوي، ضياء عبد الرزاق عبد الله، مجلة ديالى، جامعة الكوفة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العدد (٥١) لسنة ٢٠١١-٢٠١٢: ١٣٨.

(٢٦) ينظر: الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية، علي محمد عودة: ١٣٩.

(٢٧) ينظر: المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث: ٤٧.

(٢٨) ينظر: تحليل النص السردي، محمد بوعزة: ٢٠٥.

(٢٩) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق، شجاع مسلم العاني: ١٢٩؛ وينظر: جماليات المكان: ٤٥.

تثير مثل هذه الأمكنة في الشخصية الخوف والقلق وعدم الإحساس بالأمان والطمأنينة^(٣٠)، فالمكان المعادي نقيض المكان الأليف، بمعنى أنّ ارتباط الشخصيات بالأمكنة هو ارتباط روحي له دلالاته المادية والمعنوية التي لا يمكن التغاضي عنها^(٣١)، فقد يتعرض الإنسان إلى موقف ما في الحياة فيعيش مرغماً في بعض الأمكنة الضيقة أو الواسعة، ويعاني في الاثنتين الاغتراب بكل أنواعه وتفاصيله النفسية المؤلمة^(٣٢). أي أن هذا المكان يدور حول الأماكن الضاغطة على حرية الإنسان المتصفة بالقسوة والسلطة والعنف^(٣٣).

لقد ذكر (غالب هلسا) صفات هذا المكان بقوله عنه انه المكان المعبر عن الهزيمة واليأس، إذ يتخذ صفات المجتمع الأبوي بعزيمة السلطة داخله وتمنحه الموجه لكل من يخالف التعليمات وتعسفه الذي بيده إنه ذو طابع قدرى مثاله السجون والمنافي^(٣٤).

تتجلى صورة المكان المعادي في قصص (نجمان ياسين) في مجموعته القصصية (جنون وما أشبه) ومنها في قصة (خيول الفتى) في النص الآتي: "وفجأة اختفت المرأة صاحبة العباءة السوداء التي تلتف على جسدها الضامر، وتلتم على خجل يبرق في عينيها المذعورتين، وفجأة همد حماسنا الذي كان يجرفنا ونحن نرقبها في هجير الصيف وزمهير الشتاء وصرنا نتساءل عبر عيوننا المتلهفة عن سر هذا الاختفاء المباغت! شعرت بالحزن يلطم روحي وأنا أرقب-شارع الفاروق- خاوياً يشبه جثة صماء تتمدد هامدة، وتندثر بالكآبة"^(٣٥).

(٣٠) ينظر: جماليات المكان، مجموعة من الباحثين: ٦٣.

(٣١) ينظر: مغامرات الكتابة في تمظهرات الفضاء النصي، محمد صابر عبيد: ١٧٨.

(٣٢) ينظر: المكان في شعر ابن زيدون، ساهرة عليوي حسن: ٥٣.

(٣٣) ينظر: جماليات السرد في الخطاب الروائي، صبيحة عودة زكريا: ١٢.

(٣٤) جماليات المكان في الرواية العربية، شاعر النابلسي: ١٣.

(٣٥) جنون وما أشبه: ١٩.

ويتحدث القاص في هذا النص عن كمية الحزن والأسى التي يشعر بها، وهو يصف ويراقب شارع الفاروق عديم الحركة أي أشبه بالجثة الهامدة الصماء التي لا تتكلم ولا تتنفس وتندثر بالكآبة. فقد أصبح هذا الشارع يعج بالناس والمارة في حركة الناس والمارة ذهاباً وإياباً، فقد تحول فجأة إلى جثة هامدة واختفاء هذه المرأة صاحبة العباءة مع ابنها سلب الشارع حيويته، وصور القاص هنا حالة الحزن التي حولت هذا المكان من مكان أليف إلى مكان معادٍ، صور تجسيد (الحياة) في هذا الشارع بحيوية ونشاط، وفجأة تحول هذا الشارع إلى حالة من الحزن.

جسد القاص الشارع وقارنه بالموت بهذه الطريقة جسد القاص اختفاء الولد وأمه، فوجود الولد وأمه وجود الحياة والحركة والنشاط والحيوية في هذا الشارع. وهو ما يدل على موت الشارع عند اختفاء هذا الولد وأمه.

لذا تحول المكان الأليف المفتوح إلى مكان معادٍ يتسم بالانغلاق والخوف والفقر من المارة والحركة الدائمة.

ورد المكان المعادي في قصة (حرائق آسيا)، إذ يقول في النص الآتي: "متى ينتهي عقاب هذه البنت البائسة؟ وأكتم ضحكة فرح في صدري عندما أتذكر ما فعلت "آسيا" بالسيد غليظ الروح، متحجر القلب، يتعالى صراخ ونحيب "آسيا" فينخلع فؤادي ألماً، ويتشقق قلبي غضباً، وأود أن اصرخ وأهدم سقف الدنيا واجعله ينهار على رأس سيد "مروكي" إلا أنّ ما كدرني أكثر شعوري بأني عاجز وليس بمقدوري أن أحول دون تعذيب وضرب "آسيا" البائسة التي قيدها السيد بحبال خشنة وربطها بإحكام إلى جذع شجرة (التين) الباسقة وسط حوش منزله البغيض! منذ متى والبنت "آسيا" مقيدة؟ لست اذكر كم أمضت من أيام العذاب تئن وتنحب وتتلقى الضربات الموجهة"^(٣٦).

ذكر القاص في هذا النص مدى حزنه فيما جاء بكلمات حزينة مصحوبة بنغمات حزينة وهو عاجز لا يستطيع إنقاذ هذه الطفلة آسيا وهي تعذب من قبل والدها السيد مروكي.

(٣٦) جنون وما أشبهه: ١٠١.

اتصفت هذه الفتاة بالجنون في هذه القصة بسبب والدها، إذ تشعر الشخصية آسيا بالضيق والنفور والكرهية لهذا المكان الذي تضرب وتعذب فيه من والدها. فأسيا طفلة صغيرة تحب وتكره بسرعة، هذا المنزل (الحوش) يذكرها بأيام العذاب وقسوتها وبيده الخشنة التي تقاوت على جسدها الصغير فانهاالت على آسيا بالضرب الموجه المؤلم. وهو ألم نفسي أكثر ما هو جسدي؛ لأن الفتاة صغيرة جداً ولا تستحق كل هذا التعذيب مهما اقتربت من ذنب. اقترن هذا المكان بقسوة الأب وظلمه وقسوة قلبه، وبصوت آسيا تصرخ من التعذيب والألم وهذه الشجرة تشارك الأب في عملية تعذيبها. وهو يقوم بربطها بهذه الحبال الغليظة وهي دلالات على قسوة (الأب) فهو إنسان غير طبيعي وغير سوي على الرغم من أن هذا المكان واسع ومفتوح توجد بداخله نباتات فهو مكان جميل ورحب لكنه اقترن بالتعذيب لهذه الفتاة، فقد أصبح هذا المكان الرحب الواسع مكاناً مؤلماً، وذكرى مؤلمة لهذه الشخصية آسيا، فهو مكان معادٍ موحش غير معاش فهو معادٍ لها على الرغم من مواصفاته والمناظر الطبيعية فيه.

ورد المكان المعادي كذلك في القصة ذاتها، كما يتضح في النص الآتي: "يشعري أنين ونحيب -آسيا- بالشجن، وبأني عاجز اليوم وليس في استطاعتي أن ارمي السيد بقبضة وحل، فأبي ليس في المنزل، والسجن قد أخذه منا وإلا لكان قد أوقف السيد عند حده، وأنقذ -آسيا- من عذاب السجن" (٣٧).

ذكر المكان المعادي في هذا المقطع في (السجن) و(المنزل)، إذ يصور القاص العجز والحزن، وهو لا يستطيع إنقاذ آسيا من ظلم والدها وعدم القدرة على الدفاع عن هذه الطفلة.

فالمنزل في هذا المقطع معادل موضوعي لشخصية (آسيا) فهو (كالسجن)، فالسجن يقتل ويعذب من كان فيه، فالمنزل هنا هو سجن الشخصية فهي تعذب وتقتل وتهان من والدها. وهنا لا يختلف عذاب السجن عن عذاب المنزل لدى (آسيا).

فالمكان المعادي لشخصية آسيا هو حوش المنزل السجن المفتعل لهذه البنت الضعيفة المقيدة بالحبال الغليظة والضعف المسيطر عليها من خلال قسوة الأب وجبروته وظلمه وجنونه واضطرابه النفسي.

(٣٧) جنون وما أشبهه: ١٠٧.

فقد ورد المكان المعادي في قصة (خيول الفتى) في النص الآتي: "اخبِرنا صاحب دكان في -شارع الفاروق-:

- أنَّ الولد المخبول قد دهسته سيارة، ومات.

واخبِرنا أكثر من ولد:

- أنَّ أمه قد ماتت وتركته وحيداً، وقال آخرون:

- بعد رحيل أم المخبول، أودعه أقاربه مستشفى المجانين.

وثمة من قال:

- انه مقيد في قبو بمنزل في محلة الساعة.

وحكى لنا آخرون:

- أنَّ الولد المخبول، قد قاد خيوله صوب النهر، وغار معها في أعماق المياه"^(٣٨).

يتمثل المكان المعادي في هذا النص في قصة الولد المجنون مع أولاد الحي الذي دهسته سيارة، ثم نُقل إلى مستشفى المجانين، فهو مريض بمرض التخلف العقلي والصرع. توجد فرضيات عديدة لحال هذا الولد خلقت أمكنة معادية متعددة من خيال كل إنسان، فهذه الأمكنة غير المحببة لكل إنسان (المستشفى، القبو، مجرى المياه)، فالمكان الأول المفترض: موت هذا الطفل تحت هيكل السيارة القاسي عندما دهسته، والمكان المعادي المفترض الثاني: قد تركه أقاربه في مستشفى المجانين، للتخلص من عبئه (فالمستشفى) غير محببة للإنسان، والمكان الثالث: القبو الذي يدل على الظلام والعمتة في بيت في محلة الساعة، فهذا المكان (محلة الساعة) يمتاز (بالظلام، والعمتة، والضيق، وصغر المساحة).

ونلاحظ في المكان الرابع: مياه النهر العميقة التي أدت بحياة هذا الولد ويوجد أكثر من مكان معادٍ هنا (المستشفى، القبو، مجرى المياه العميقة)، فهذه الأماكن تتصف بالظلام العميق الحقيقي أو المجازي سبب موت هذا الولد عدم معرفة الحقيقة من خلال كثرة الأقاويل والفرضيات المظلمة.

(٣٨) جنون وما أشبهه: ٢٦-٢٧.

وورد المكان المعادي في قصة (بكاء دهشان السكران) في النص الآتي: "الغروب ينشر عتمته على القبور، والمقبرة تفتح ذراعيها لظلام الليل، والسكران يقف عند قبر أمه تماماً عند رأس أمه الراقد في قبر من تراب له شاهدتان، ...

جثا السكران عند رأس أمه فتح ذراعيه ونظر إلى السماء، ...

يا ملعونة بنت الملعون الله لا يرحمك، دمرت حياتي وجئت بي إلى هذه الدنيا العفنة لتعذب"^(٣٩).

جاء (القبر) مكاناً معادلاً للظلام والعتمة عندما يذهب إلى قبر أمه ويلومها على اقرار ذنب ولادته، فالقبر مكان معادٍ لأنه يحتضن الأحبة، وهنا في هذا النص (القبر) خالف أمر الواقع، بحيث يتمنى هذا الشاب أن يكون فيه بدل أمه التي ولدته وأنجبته للحياة، فالمكان المعادي لهذا الشاب هو (الحياة أو الدنيا نفسها) وهو يقوم بلعن وشم أمه التي جاءت به إلى هذه الدنيا ليشقى ويتعب فيها.

وتشكل له الحياة (قبر كبير) وهو يتمنى أن يكون في القبر بجانب أمه لكي يتخلص من قبر الدنيا الكبير، فقبر أمه هو مصدر تعذيب له؛ لأنه يحتضن بداخله الإنسانية التي أتت به إلى هذه الدنيا ليشقى فيها (فالليل والعتمة) كما هو معروف يتصفان بالسواد الحالك، كذلك القبر يتصف بالعتمة والسواد.

وقد ورد المكان المعادي في قصة (الضيف) على وفق الآتي: "أي اختلاف بين هذه المدينة التي تسترخي بين يدي النهر، وبين المدن الأخرى، سوى أنها اعتادت مذاق الدم وطعم ليالي الخوف الموحشة الطويلة، ومن يستطيع أن يتبين الفارق بين مدينة لا يفلح طوفان النهر وفيضاناته المتتالية في غسلها من الأدران، وبين مدن أخرى، سوى أن الرصاص ينهمر كل يوم فتساقط الجثث ويندفع الدم غزيراً منها وهي تشخر كالثيران الذبيحة، وترنو إلى قاتلها الذي يمرق بعيداً، فتتلقفه الأزقة المعتمة الضيقة، والملتوية كالأفاعي، ويذوب كالمح ويتوارى، بينما تظل نظراتها ضارعة، ومستسلمة لقسوة الموت"^(٤٠).

(٣٩) م. ن: ١٦٣.

(٤٠) جنون وما أشبهه: ٢٢٣.

نجد إشارة واضحة هنا إلى طبيعة المكان المعادي في هذه المدينة غير المألوفة، إذ يتكلم القاص عنها ويصفها بأنها تعودت على مذاق وطعم الخوف الموحش، فقد جاءت (مكاناً معادياً) يشعر ساكنوها بالخوف والرصاص ينهمر عليها كل يوم وتتساقط الجثث، وكان أبناءها قرابين فهم يقدمون شهداء من دون ذنب، فقدت أبنائها بسبب القتل والخوف، لهذا جاء وصفه بأنها ضعيفة مهلكة بدون سبب، وهي كالإنسان الضعيف يتكالب عليها القتل، ولهذا الضعف والخوف أنتجت أبناء مضطربين (مجانين)، فكانت هذه القصة بمثابة المفتاح للشخصيات التي كتب عنها القاص في هذه المجموعة لتكون هذه المدينة الظلماء مكاناً معادياً لكل الشخصيات والقصص.

بإنتاج شخصيات مضطربة عقلياً في المجموعة القصصية، فالقاتل يتحصن بين هذه الأزقة المعتمة الظلماء، فهذه المدينة تختلف عن باقي مدن العالم التي تزدهر وتتطور، فهذه المدينة تختلف بوجود (القتلة، والأموات، والدم، والخوف) الذي يوجد في أزقتها القديمة المظلمة الضيقة، والجثث التي تتساقط كل يوم وينهال عليها الرصاص، فتودي بحياة أكثر من شهيد، ويمثل هذا النص (مفتاح الجنون) لقصص جنون وما أشبه للشخصيات المذكورة في المجموعة القصصية بشكل كامل.

وقد ورد المكان المعادي في القصة أيضاً عند قوله: "هذه المدينة مثل كل المدن البائسة الأخرى يعمل فقراؤها بكد وتعب ويأكلون بشرها ثم يخشون نساءهم مراراً في الأسبوع لأنهم يأخذون القليل، ولعل ما يميزها عن بقية مدن الله أنها اعتادت ليل الخوف الطويل الذي يسكنها منذ أعوام ويبث الوحشة في بيوتها المذعورة، لتستكين عميقة في القلوب، ويموت فقراؤها بالمجان"^(٤١).

يتحدث القاص هنا عن هذه المدينة المنكوبة، وهي مكان معادي لسكانها بسبب (الخوف، الموت، الفقر)، فقد صور صفات أهل المدينة بأنهم يعيشون على هامش الحياة فقط يأكلون ويتناسلون كما تفعل الأنعام فاقدين الأمل بالحياة.

(٤١) جنون وما أشبه: ٢٢٣.



مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، المجلد ١٧ ، العدد (١) ، لسنة ٢٠٢١

College of Basic Education Researchers Journal

ISSN: 7452-1992 Vol. (17), No.(1), (2021)

فالمحبة معدومة غير موجودة، ولا ملجأ لهم سوى هذه المدينة وقسوتها على أهلها الفقراء، فالخوف والرعب تملئ كل زاوية من زوايا المدينة وكل قطرة دم في عروق أبنائها تنزف يوماً من جنث (الفقراء) لهذا كانت مدينة الموت بسبب موت فقرائها بالمجان.

الخاتمة

بعد الانتهاء من الدراسة التحليلية توصلت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

- يهتم القاص نجمان ياسين بالمكان الأليف الذي يعبر عن الراحة والأمان فهو المكان المقترن بالدفء والشعور بالأطمئنان.
 - يشكل المكان الأليف مرحلة الطفولة الأولى وملعب الصبا، فيحس فيه بالأمان، فهو يتكلم بصدق وعفوية وحببه لهذه الأمكنة في حديثه عن مدينة الموصل والبيئة الموصلية بشكل عام، ومدينة الموصل القديمة بشكل خاص.
 - يحظى المكان الأليف عند القاص بلغة وإحساس عميقين.
- يمثل هذا المكان فضاء ذكرياته ومرحلة الطفولة في حياته، فهذا المكان اقرب إلى نفسه من أي مكان آخر. ويؤثر المكان المعادي عند القاص في نفس الشخصية تأثيراً سلبياً، تشعر الشخصيات في هذا المكان بالعدائية والكراهية، لذا تكون علاقة هذا المكان مع الشخصية سلبية توجي لها بالخوف والنفور منه، حيث تتولد حالة من الخوف وعدم الراحة.

المصادر والمراجع

المصادر:

- جنون وما أشبه: مجموعة قصصية، د. نجمان ياسين، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠١٩.

المراجع:

١- الكتب العربية والمترجمة:

- البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان)، د. شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، ج٢، ط١، بغداد، ٢٠٠٥م.

- الرواية العربية واقع وأفق مشترك، محمد بريدة وآخرون، دار ابن رشد للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨١.

- الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية، علي محمد عودة، ط٢، فلسطين، ١٩٩٧م.

- الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، د. إبراهيم جنداري، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠٠١.

- المصطلح السرد في النقد العربي الحديث، أحمد كريم الخفاجي، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠١٢.

- تحليل النص السرد، محمد بوعزة، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، الرباط، ٢٠١٠.

- جماليات السرد في الخطاب الروائي، صبيحة عودة زكريا وغسان كنفاني، دار مجدلاوي، ط١، الأردن، ٢٠٠٦م.

- جماليات المكان في الرواية العربية، شاعر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت- لبنان، ١٩٩٤م.

- جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩.

- جماليات المكان، مجموعة من الباحثين، مطبعة دار قرطبة، ط٢، الدار البيضاء، ١٩٨٨م.

- مدخل إلى نظرية القصة القصيرة تحليلاً وتطبيقاً، سمير المرزوقي، وجميل شاكر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

- مغامرة الكتابة في تمظهرات الفضاء النصي، د. محمد صابر عبيد، عالم الكتب الحديث، ط١، الأردن، ٢٠١٢م.



مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، المجلد ١٧ ، العدد (١) ، لسنة ٢٠٢١

College of Basic Education Researchers Journal
ISSN: 7452-1992 Vol. (17), No.(1), (2021)

٢- البحوث المنشورة في الدوريات والكتب الجامعية:

- حميمية المكان وجدلية الليل والنهار في ديوان (مساء في يدي)، عمر العسري، مجلة البحرين الثقافية، المجلد (١٣)، العدد (٤٣) لسنة ٢٠٠٦م.
- احتياط الوعي ودور المكان في تكوينها- دراسة في العام الخامسة، محمد عبد الحسين الهودي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة المثنى، مجلة التربية، المجلد (٦)، العدد (٢) لسنة ٢٠٠٧.
- المكان في قصص محمد حكمت صالح، د. نبهان حسون السعدون، دراسات موصلية، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، العدد (٤٣)، لسنة ٢٠١٤م.
- الزمان والمكان في القصة القصيرة جداً في أدب نجدي الراوي، ضياء عبد الرزاق عبد الله، مجلة ديالى، جامعة الكوفة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العدد (٥١) لسنة ٢٠١١-٢٠١٢.
- مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان، ترجمة: سيزا قاسم، مجلة ألف باء، البلاغة المقارنة، الجامعة الأمريكية، القاهرة، العدد (٩) لسنة ١٩٨٦م.

٣- الرسائل والاطاريح الجامعية:

- المكان في شعر ابن زيدون، ساهرة عليوي حسن، رسالة ماجستير، بإشراف: د. هناء جواد عبد السادة، جامعة بابل، ٢٠٠٨م.

٤- البحوث المنشورة على شبكة الانترنت:

- دراسة المكان في الرواية العربية، عبد القادر حوسو: WWW.RABITA AT. ALWAHA. NET.